



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN NAHAR
Date : 27 7 95
Photo No. : 200

باني الشيوعية العربية... وهادمها

في السياسة شخصيات تستدرّ العطف تلقائياً وأخرى تستثير التحفظ، وحتى النفور. خالد بكداش كان بلا جدال من الصنف الثاني. لأنه ظل رجل سلطة في حياته السياسية كلما على رغم انتماء حزبه في أكثر الاحيان الى المعارضة؟ ام لان الحكم عليه محكوم بهذا التضاد الصارخ بين صورة المفوض المسكوبي والصورة شبه القدسية التي جسدها فرج الله الخلو ثم رياض الترك في محنتهما العظيمة؟ ام لأن خالد بكداش المدافع عن الشعب لم يقم كبير اعتبار لثقافة هذا الشعب وهويته الملوثة "بورجوازيًا" بلوثة القومية؟ أم لأنه، ببساطة، لم ينفك يضيف الخطأ الى الخطأ منذ بدء عصر الاستقلال، فيعارض عندما كان يجب ان يوالي ويوالي عندما كان يجب ان يعارض؟

حتى العودة الى ما قبل هذا العصر، الى بداية الطريق و"جذور السنديانة الحمراء" لا تساعد في التخفيف من قسوة الحكم الفريري الذي يطلق عليه. ففي رحلة البداية هذه كان دور خالد بكداش مطابقاً للصورة التي لازمته بقية حياته: صورة رجل سلطة يضطلع بمسؤولية القضاء على كل طفولية يسارية، بل على كل اجتهاد. انه رجل الكوميترن بامتياز، من الصنف الذي اتحدت موسكو الثلاثينات واحدا او اثنين منه في كل بلد لترويض احزاب شيوعية لم تكن فقدت بعد شبابها. انه ديميتروف من نون فكر ديميتروف، ومن دون وقفة ديميتروف في المحكمة النازية.

قد يبدو الكلام عن رجل توفي قبل يومين قاسياً لكن خالد بكداش لم يمّت قبل يومين. مات منذ سنوات طويلة. ليس كما يطيب للبعض، منذ انهيار الاتحاد السوفياتي، ولا حتى منذ ان بدأ يرى عالمه ينهار عندما اطلق ميخائيل غورباتشيفوف البريسترويكا. لا، مات منذ ان قيل ان تحوّل الحركة الشيوعية العربية قالباً فارغاً (الا من اصوات المعذبين والمعتقلين من خوارجهما). مات عندما اخذ يدفع رجلاً ونساء كانوا ربما من افضل ما في شعبهم الى الافتراق عن شعبهم، سواء من خلال معارضة طموحاته او من خلال الانحياز الى سلطة تصادر مشيئته.

وفي اي حال، فان ما يقال اليوم عن خالد بكداش يبقى اخف بكثير مما قيل فيه حياً. على عكس ذلك، كان بكداش موضع انتقاد دائم، خصوصاً عند الذين ارادوا في لحظة من اللحظات تجديد الحركة الشيوعية، فاضطروا الى "قتل الاب". وينطبق ذلك على جيل من الشيوعيين اللبنانيين، وإن هم ذهبوا في ما بعد الى اسوأ مما ذهب اليه بكداش في مماشاة التوازن الاقليمي، كما قال شماتة في الثمانينات. كما ينطبق على جيل من الشيوعيين السوريين انتموا الى الانشقاق عنه (المقصود ليس بالتأكيد الانشقاق السلطوي الذي قاده يوسف فيصل). ماذا يبقى اننا من خالد بكداش؟ ربما تلك الصورة التي وجب حفظها لعدم تكرارها اذا كان ليسار عربي ان يقوم.

سمير قصير